وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تصادم منهجين بين د. عبد الله العروي ود. طه عبد الرحمن

عباس أرحيلة

تمهيد:

كان لا بد أن يحدث تصادم بين مشروع د. طه عبد الرحمن مع أهل الفلسفة عامة ومع د. عبدالله العروي بشكل خاص؛ لأن هذا الأخير اشتغل بالمفاهيم في مشروعه الفلسفي التاريخي. وقد لاحظتُ وأنا أقرأ كتاب (مفهوم العقل) للدكتورعبد الله العروي – ط١ (١٩٩٦) ، وكتاب (القول الفلسفي المفهوم والتأثيل) للدكتور طه عبد الرحمن – ط١ (١٩٩٩) أن كلا من الباحثين استحضر الآخر في كتابه، وكان له هاجسا في لحظة من اللحظات أثناء إنجاز عمله؛ فكل منها أشار إلى اتجاه الآخر بطريقة خفية. وما أكتبه هنا هو عبارة عن استنتاج خاص من خلال قراءتي للكتابين منذ أكثر من أربع سنوات.

وسأحاول أن أشير باقتضاب إلى طبيعة منهج كل منهما، وما بينهما من فروق، ورأي كل واحد منهما في مجهود الآخر؛ اعتماداً على ما ورد في كتابيْهما:

(١) مفهوم العقل، مقالة في المفارقات: د. عبد الله العروي – ط١ [بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦].

(٢) فقه الفلسفة – ٢ – القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل: د. طه عبد الرحمن – ط١ [بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩].

أولا : مع مشروع د. عبد الله العروي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(١) مشروعه من خلال تمهيده لكتابه(مفهوم العقل):

تحدث د. عبد الله العروي عن مشروعه في تمهيده لكتابه (مفهوم العقل)؛ فقال إنه عبارة عن كتابة موسوعة موضوعها الحداثة، وتتشكل في سلسلة مباحث حول بعض مفاهيم هي: مفهوم الأدلوجة (١٩٨٠) مفهوم الحرية (١٩٨١)، مفهوم الدولة (١٩٨١)، مفهوم التاريخ (١٩٨١)، مفهوم العقل (١٩٩٦). ويرى الباحث أن تلك السلسلة تمثل" فصولا من مؤلف واحد حول مفهوم الحداثة"[ص١٤].

وذكر أن منطق الحداثة كان هو الدافع إلى الشروع في كتابة السلسلة من الأعمال. وتساءل في بداية تمهيده لكتابه (مفهوم العقل)، وهو آخر حلقة في السلسة، قائلا:

" ماذا كان هدف المشروع كله ؟".

وعن هدفه من هذا المشروع قال د. عبد الله العروي:"حاولت في كل ما كتبت أن أوضح أن الوضعية التاريخية التي نعيشها، والتي لا نستطيع أن ننفيها، تجعل من كل أحكامنا على حالات خاصة أقوالا هادفة، مصلحية، تبريرية" [٩]. وهو مشروع تنويري تحديثي ينقل الفكر السائد من الماضي إلى الحاضر. ويقول د. العروي إنه لا يفتأ يكتب حول ضرورة الترشيد [١٨].

فما هي المنهجية التي اتبعها في إنجاز مشروعه هذا؟

اعتبر الباحث حلقات تلك السلسلة "دراسات منهجية تأصيلية"، وأنه راعي فيها فقط" التماسك في المنهج والانطباق على الواقع"، وإن اعتبرها بعضهم " تعليمية توضيحية " –على حد تعبيره – [٩].

ويقوم مشروعه منهجيا على قطبين:

قطب معرفي يتمثل في امتلاك بداهة جديدة، لا تتحقق إلا بما أسماه "القطيعة المنهجية"، أي لا يتحقق ذلك الامتلاك إلا "بالقفز فوق حاجز معرفي، حاجز تراكم المعلومات التقليدية. لا يُفيد فيها أبدا النقد الجزئي، بل ما يُفيد هو

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

طي الصفحة. وهذا ما أسميته ولا أزال أسميه بالقطيعة المنهجية"[١٠]. فمعرفيا تقتضي القطيعة المنهجية القفز على الحاجز وطي صفحة ما تراكم من معلومات تقليدية.

أما القطب الثاني فهو إجرائي وينحصر موضوعيا "عندنا وعند غيرنا من سبقنا على هذا الدرب" في منهجين:

" الأول تكويني يدرس نشأة النظائم الفكرية (المذاهب، المدارس، الاتجاهات، التيارات)،

والثاني تفكيكي ينطلق من النظيمة المكونة والمنسقة ليكسرها إلى أجزاء، وبرد كل جزء إلى أصله" [١٠].

وذكر الباحث أن من يقرأ بإمعان دراساته "حول الثقافة العربية المعاصرة، أو تاريخ المغرب، أو الوطنية المغربية؛ يلاحظ أن كل واحدة تمر بمرحلتين: مرحلة التحليل والتفكيك"[١٠]. وكان الباحث يظن أن إجرائياته المنهجية في دراساته السابقة قد أثبتت ثلاث قواعد:

- أن المنهج التفكيكي التكويني هو منهج العلوم الإنسانية،
- وأنه مزدوج يتحقق به التداعي والتكامل،
- ويسير فيه البحث بالضرورة بشكل دوراني.

(٢) إحساسه بفشل مشروعه:

يقول الباحث إنه كان يظن أن منهجه قد حقق حضوره في الثقافة العربية المعاصرة؛ فتبين له عكس ذلك. قال:" يبدو أن ظني كان خاطئاً، وأني كنت متفائلا أكثر من اللازم عندما قررت أن عهد المناظرات قد انتهى" [١١]، أي أن القطيعة المنهجية لم تتحقق، ولم يتحقق القفز ولا طي الصفحة، ولا التزم الباحثون بالمنهج العلمي في التحليل والتفكيك.

يقول:" إن المحاولة التوضيحية التي قمت بها، وقام بمثلها غيري في المغرب والمشرق، لم تؤثر بعد التأثير المرجو في التأليف العربي" [١٤]. أحس د. عبد الله العروي أن مشروعه تبخَّر وكان صيحة في واد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ومما ساقه على الفشل في امتلاك"بداهة جديدة":

(أ) أن القسم الأكبر من النشاط الثقافي الحالي يستحضر التراث بالنشر والتحقيق والشرح (استمرار العناية بالماضي).

(ب) أن الإنتاج ضئيل في الإبستمولوجية، مع مسايرة المتخصصين فيها للاتجاه العام،" ولا يُحاولون أبداً معاكسته" [١١].

(ج) أن المنهج ظل مسألة شكلية، في حين هو"مسألة قطيعة مع مضمون التراث" [١١]، ومن تجاهل هذا" أصبحت جهوده تحقيقية تافهة "[١١].

ومشروع د. العروي الفكري يتشكل داخل التاريخانية؛ أي أن"التاريخ هو سببٌ وخالقٌ ومبدعُ كل ما رُويَ ويُروى من الموجودات"، كما قال في كتابه العرب والفكر التاريخي [ص١٢٦] . وهو يدعونا في كتابه الأديولوجية العربية المعاصرة أن" نودع نهائيا المطلقات جميعها" [ص٢١].

ثانيا : مع مشروع د. طه عبد الرحمن

إذا كان د. عبد الله العروي ينشد في مشروعه الحداثة من خلال دينامية تاريخانية تنقطع عن الماضي منهجيا؛ فإن د. طه عبد الرحمن، انطلق في مشروعه من رغبته في تجديد الفكر الديني والارتباط بذلك الماضي، وشرع في تأسيس فكر يُضاهي به ما لدى الغربيين، ويتطلع إلى وضع مشروع فلسفي يُعيد فيه النظر في الفلسفة وتاريخها وقضاياها وانشغال المسلمين بها قديما وحديثا.

مشروع د. طه عبد الرحمن " يتمثل في وضع فقه للفلسفة غايته إخراج المتفلسف العربي من نَفَق التبعية لغيره وإقداره على التفلسف بحسب ما يستشكله في واقعه، لا في واقع غيره" [القول الفلسفي ص، ٤٢٩].

وفي إطار مشروع د. طه لوضع فقه الفلسفة، قرر أن فقه الفلسفة لا يقوم بدون تأصيل للمفاهيم وتأثيلها حسب اصطلاحه.

ويقسم الفلسفة إلى قسمين:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

(١) فلسفة صناعية مفصولة، لا تتقيد مطلقا بالحقائق والقيم التداولية للمتلقي، ولا توجب العمل بأصول المجال التداولي له.

(٢) وفلسفة طبيعية إبداعية موصولة بالمجال التداولي للمتلقي؛ أي ترتبط بحقائقه وقيمه وذلك بمراعاة مقتضيات لغته وعقيدته ومعرفته، كما توجب العمل بأصول ذلك المجال التداولي. فالفلسفة الطبيعية عنده هي التفاعل الفكري بين أهل المجال التداولي الواحد وفق مبادئه اللغوية والعقلية والمعرفية الخاصة. وفي اعتباره لا سبيل للمتفلسف إلى الإبداع ما لم يتغلغل في هذه الفلسفة الطبيعية، وما لم تكن فلسفته شديدة الصلة بها [نفسه: ١٠٢].

ثالثا : الفروق المنهجية بينهما

(١) من حيث المنهج عامة:

يمتلك د. العروي ما أسماه بداهة جديدة، رؤيته تقوم على ما أسماه قطيعة منهجية،"وهذا لا يكون إلا بالقفز فوق حاجز معرفي، حاجز تراكم المعلومات التقليدية"[مفهوم العقل: ١٠].

وماذا يعني المنهج عنده ؟ يقول:"عندما أتكلم على المنهج أعني في الواقع منطق الفكر الحديث بعد أن انفصل عن الفكر القديم"[١٢].

ولا شك أن ما يُسميه د. العروي الحاجز المعرفي هو ما يسميه د. طه المجال التداولي القائم على اللغة الفكر والعقيدة. فما يُسميه د. طه عبد الرحمن تداولية إسلامية يعتبره د. عبد الله العروي بداهة جاهزة انتهت. وحين ينفصل د. العروي عن الفكر القديم، يتصل به د. طه.

(٢) موقفهما من التراث:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

د. العروي يقول:"إني أحكم على التراث انطلاقا من مفاهيم غير نابعة من صلبه"، ويرى أن لا يستطيع أن يفعل غير هذا، من يعيش في زماننا هذا [مفهوم العقل: ١٧]

ود. طه يحكم على التراث انطلاقا من مفاهيم نابعة من صلبه: لغةً وفكراً وعقيدةً.

يقول د. طه:" لقد اتبعنا في الاشتغال بمسالك التراث منهجية تستمد أوصافها الجوهرية من المبادئ التي قامت عليها الممارسة التراثية الإسلامية"[تجديد المنهج:٤٢١] .

منطلق د. العروي إيجاد بداهة جديدة أساسها القطيعة المنهجية مع التراث، وطيّ صفحة الماضي؛ أي القول بالانفصال عن التراث. ومسألة المنهج عنده ليست شكلية؛ بل هي قطيعة مع مضمون التراث؛ فالدراسة العلمية للتراث عنده هي الوعي بضرورة القطيعة [١١]؛ أي الانفصال عن الفكر القديم والاتصال بالفكر الحديث. ويرى أنه إذا تجاهل الباحث ضرورة القطيعة أصبحت جهوده تحقيقية تافهة.

ومنطلق د طه من بداهة جاهزة هي الوحي أي القول بالاتصال.

أما د. العروي فيقول:"لا يُمكن لأحد أن يدعي فرداً كان أو جماعة، أنه يملك الحقيقة المطلقة عن طريق الوحي والمكاشفة ويفرضها على الآخرين"، كما جاء في كتابه الأديولوجية العربية المعاصرة (سنة ١٩٧٠) [ص٢١].

(٢) التطابق واللاتطابق:

لاحظ د. العروي أن ما أورده في سلسلة المفاهيم لا يتطابق مع المجتمعات العربية. يقول:" إن المفاهيم التي شرحتها (...) لا تطابق المجتمعات العربية مطابقة تامة كاملة. هذا أمر قلته قبل أن يقوله غيري. ماذا تعني اللامطابقة ؟ تعني أننا لو انطلقنا من المجتمعات العربية وحدها، من إنجازاتها الثقافية الماضية والحاضرة، لاستحال أن نصل بمحض الاستنباط إلى اكتمال المفهوم (يعني استحال الآن لا فيما مضى)" [١٥].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

رابعا : كيفية تأصيل المفاهيم عند كل منهما

١ – كيفية إنشاء د. العروي لمفاهيمه:

أ – الانطلاق من مفاهيم لا تنبغ من صلب التراث لأسباب أهمها: ضرورة القطيعة المنهجية التي تمكن من بداهة حديثة، ولأن الباحث لا يستطيع أن ينطلق من صلب التراث، وإلا عاش في زمان غير زمانه هذا.

ب – مراعاة التطور التاريخي في تأصيل المفاهيم، يقول:" إني أنطلق من مفهوم هو وليد تطور تاريخي".

جـ – تطبيق المفاهيم على ما يقبل التطابق: يقول:"وأطبقه على مادة أفترض أنها سائرة إلى التطابق معه. أفعل ذلك وأنا واع بالصعوبات المترتبة على هذا الإجراء؛ إلا أنني أدعي أن لا إجراء غيره، للسبب المذكور سابقا".

د – التزام بموقف محدد من التاريخ: يقول إن ضوابطه في تأصيل المنهج "هي في الحقيقة لوازم لموقف محدد من التاريخ والمجتمع" [مفهوم العقل: ١٧].

٢– كيفية تأصيل المفاهيم عند د. طه :

سعى في القسم الثاني من مشروعه [فقه الفلسفة – ٢ – القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ١٩٩٩] أن يُدخل قارئه في كتابه هذا إلى المصنع المفهومي للفيلسوف – على حد تعبيره – ليُطلعه على تفاصيل ما يقوم به من عمليات تقنية أثناء تصنيعه للمصطلحات وتشغيلها؛ لينسج مفاهيم فلسفية يسير الفكر الفلسفي بمقتضاها. وحين يقف القارئ على تقنيات التصنيع، ويعرف أسرار المهارات فيها؛ يتمكن بصورة تلقائية من إنتاج خطاب فكري متميز مستقل، أي يتأتى له تأصيل المصطلحات والمفاهيم [كتاب المفهوم والتأثيل: ٤٢٩] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولكن كيف يتأتى تأثيل (تأصيل) المفاهيم في دوامة التبعية والتقليد ؟ كيف و"جل المفاهيم الفلسفية العربية التي بين أيدينا (...) تم وضعها في مقابل مفاهيم منقولة من أمم أخرى!" [القول الفلسفي: ٦٣] .

فلا يستقيم تأصيل المفاهيم الفلسفية – في تقديره – لمن لا يتوسل بمفاهيم محققة بالتأثيل؛ أي إلا إذا تم تشغيلها وتأصيلها داخل المجال التداولي للمتلقي(أي تراعي مقتضيات لغته وعقيدته ومعرفته)؛ إما بالوضع، وأما أن تكون من وضع غيره؛ فيعمل على توظيفها، بعد تزويد مدلولاتها العبارية بجانب إشاري على قدر ما تُطيق [نفسه: ٩٩].

ومن هنا يدعو قارئه أن يستعد لإنشاء" مصنعه المفهومي"؛ بإنجاز عمليات من سياق لغته العربية ومن خصوصية مجاله التداولي. ويوجز لقارئه كيفية إعداد " مصنعه المفهومي في خاتمة كتابه على هذا الشكل، فيقول لقارئه:

عليك أن تُعين مدلولا اصطلاحيا بموجب حاجتك الفلسفية المباشرة، تتوصل إليه بما حصلته من معارف مختلفة وقدرات نظريات.

- أن تضع له الاسم المناسب، بحيث يكون هذا الاسم حاملا لأسباب تنزيله على هذا المدلول الاصطلاحي.
- أن تضع المقابل المناسب للمفهوم الذي نقلته من غيرك.
- أن تجتهد في وصله، بأصول مجال التداولي الإسلامي العربي، لغويةً كانت أو معرفية أو عقدية.
- أن تفتح باب مدلولك الاصطلاحي للاستشكال وللاستدلال؛ مستعينا في ذلك بما تمدك به الأصول التداولية.

ومتى أعددت مصنعك المفهومي، أمكنك أن تُنشئ لكل مفهوم حقله الذي يربطه بغيره؛ متجها على التدريج إلى التأليف بين هذه الحقول المفهومية؛ ومتى استتب لك أمر هذا التأليف؛ استطعت أن تأتي بخطاب فلسفي مستقل، فيه من الأصالة بقدر ما فيه من الجدة ، وفيه من الخصوصية بقدر ما فيه من الشمولية [القول الفلسفي: ٤٣١].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

خامسا : رأي كل منهما في الآخر

واضح أن كلا منهما يستحضر مسار فكر الآخر، ويُضمر رأيه فيه، ويعتمد التلميح لا التصريح. فشخص د.طه كان حاضرا عند د. العروي في تمهيده لكتابه (مفهوم العقل)، وفي تناوله للمناظرة في بداية الفصل الثالث (عقل العقل)، حين يقول: " إذا اتضح أن عهد التقرير(اعلم أن ...) قد انتهى بانحلال قاعدته المادية والاجتماعية والفكرية، وكذلك عهد منطق المناظرة (إذا أورد فالجواب...)، يتضح عندئذ أنه لم يعد هناك بداهة جاهزة، ضرورة منطقية، يركن إليها الجميع تلقائيا وتتماسك بها الأفكار" [٩ - ١٠].

و د. العروي ينفي عن المنطق كل قيمة، ويجعله مقابلا للتمويه، وهو عنده "علم لم يؤسس إلا للاحتراز منه"[ص١٠٥].

ومن المعلوم أن د. طه عبد الرحمن، هو أستاذ المنطق وفلسفة اللغة بكلية الآداب بالرباط منذ ما يزيد على ثلاثين سنة. ولأنه هو الذي أخذ في بحثه "بمنهجية تعتمد أساساً مسلكاً حوارياً موصولا بالطريقة التي اشتهرت بها الممارسة التراثية، وهي: طريقة أهل المناظرة"[تجديد المنهج:٢٠].

ويرى د. العروي أن " منطق المناظرة، لا يُفيد أبدا، لأنه يتوجه بالأساس لصاحب السؤال ويُحاول إسكاته. وهذا ما نلاحظه يوميا حولنا. هدف كل نقاش هو إسكات من يكشف عن الواقع، لا التحقق من واقعية الواقع" [١٠٦].

كما يرى الباحث أن منطق المناظرة حين يُصبح عند صاحبه كالجِبِلَّة، يُعرقل التوجه إلى الواقع، ولا ينفتح لما وراء الموضوعات[ص ١٠٦ - ١٠٧].

وكانت كتب د. طه عبد الرحمن قد ظهرت تباعا (في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ١٩٨٧ - العمل الديني وتجديد العقل، ١٩٨٩- تجديد المنهج في تقويم التراث، ١٩٩٤ - فقه الفلسفة - ١ - الفلسفة والترجمة، ١٩٩٥)، وشارك في تأسيس مجلة المناظرة. وهو صاحب (اعلم أن ...).

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ولعل د. طه أحس من خلال قراءته لما ما كتبه د. العروي في تمهيده لكتابه (مفهوم العقل – ١، ١٩٩٦)، ومن خلال حملة د. العروي على المنطق؛ أنه هو المقصود بتلك الحملة، وهو المقصود بتلك التلميحات والإشارات؛ وهو ممن يعدُّهم د. العروي من أهل التقريرية والماضوية، وأصحاب البداهة الجاهزة التي انتهت[١٠]، وأصحاب منطق المناظرة أي ممن يشكلون عهد المناظرات اللفظية[١٥]. ومما لا شك فيه إن صاحب (اعلم أن...) هو د. طه عبد الرحمن، لا غيره!

وفي سنة ١٩٩٩ ، قدم د. طه عبد الرحمن القسم الثاني من مشروعه (فقه الفلسفة – ٢ – القول الفلسفي، كتاب مفهوم التأثيل) وقد وضع فيه كيفية صنع المفاهيم، بل اعتبره " ورشة " لتصنيع المفاهيم.

وكان لا بد أن يصطدم هذا المشروع بمشروع د. العروي الذي قدم موسوعة في المفاهيم في الثلث الأخير من القرن العشرين. ود. طه يعتبر أنه قدم أول مشروع يتناول أركان المفهوم الفلسفي وآلياته ونماذجه؛ بل قدم الكيفية التي يتم بها تصنيع المفاهيم، والتي تجعل متلقيه قادرا على إنشاء مفاهيمه الفلسفية كما يريدها، وقادرا على استثمار المفاهيم المنقولة وإخضاعها لأصول مجاله التداولي الخاص من الجوانب اللغوية والمعرفية والعقدية. وبهذا يستقل المتلقي بفكره، ويتحرر من تبعيته لغيره، ويُنشئ مفهوما متميزا ينسجم مع واقعه، ويستلهم إشكالات ذلك الواقع؛ فيُحسب له ويُصبح من أهل الإبداع في مجاله.

ولا أشك أن د. طه كان يُعرِّض بالطريقة التي يضع بها د. العروي مفاهيمَه، وأنه كان يقصد – في جملة ما يقصد – د. العروي حين يرمي المتفلسفة العربية بالتبعية للآخرين في وضع المفاهيم، ومن جملة ما قاله:" جل المفاهيم الفلسفية العربية التي بين أيدينا (...) تم وضعها في مقابل مفاهيم منقولة من أمم أخرى" [القول الفلسفي: ٦٣].

وفي نهاية خاتمته لكتابه (القول الفلسفي) اتجه صوب من وصمه بـ (المقلد)؛ قائلا:"كان المقلد يتحسر ويشتكي من تعذر الإبداع في إنتاجنا الفلسفي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عائدا بالسخط على أوضاعنا واللوم على أفهامنا، بدون أن يدلنا، من قريب ولا بعيد، عن الكيفية العملية للبلوغ إليه، مكتفيا بهائل الكلام الذي ليس تحته طائل، فلما اهتدينا، بفضل هذا التفكير الطويل، إلى ما نظن أنه أقرب إلى هذه الكيفية العملية من هذا الكلام الواسع، وتكلمنا نحن، على قدر طاقتنا من الدقة، في سُبُل الإبداع الفلسفي الممكنة؛ صار هذا المقلد يدعونا إلى التخلي عن السعي إلى هذا الإبداع وإلى الاكتفاء بالتحصيل من فلاسفة الغرب وتلقين أقوالهم وأفكارهم إلى النشء منا؛ خارجا من حال التباكي على فقد الإبداع إلى حال محاربة الإبداع"[القول الفلسفي: ٤٣٣].

ويرى د. طه أن ذلك المقلد جمع في كلامه بين التهويل والتضليل، وأنه دعا إلى الخلاص من وضعنا؛ انطلاقا من اعتبارات ساذجة؛ خلاصتها: أن نأخذ بأسباب التقدم عند غيرنا، وأن نتقلب فيما تقلبوا فيه من أطوار؛ حتى نتقدم على الوجه الذي تقدموا به [ص٤٣٣]؛ أي أن ننفصل أو قل ننقطع منهجيا عما يربطنا بواقعنا لغةً وفكراً وعقيدةً.

ويرى د. طه أن منطق الاختلاف يقتضي،"أن نتقدم على غير الوجه الذي تقدموا به لثبوت الفرق التداولي بيننا وبينهم"، وأن نتقلب في أطوار غيرنا، كما تقلبوا فيها؛ " لثبوت الفرق التاريخي بيننا وبينهم"؛ ومن هنا "ينبغي أن نترك من أسبابنا ما هو سبب في تأخرنا، ولا نأخذ من أسبابهم إلا ما هو سبب في تقدمهم؛ ما لم يُعارض ما ليس سببا في تأخرنا، وقام الدليل على أنه يُفضي إلى تقدمنا"[ص ٤٣٣].

ويُنهي كلامه هذا بقوله: " فليس أيسر على هذا من أن يتقلد مفاهيم غيره؛ إذ كفاه هذا الغير مشقة وضعها ومئونة طرحها، فلا يبقى له إلا أن يلوي لسانه بها؛ وليس أعسر عليه من أن يتولى بنفسه بناء مفاهيمه وتوظيفها في خطابه؛ والفيلسوف المجتهد لا يليق به أن يُقدم اليسير على العسير ...[ص٤٣٣] .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ومن البين الواضح الشديد البياض والوضوح أن هذا الذي يرميه د. طه ب بالمقلد هو د. العروي. وواضح أن أهم أركان مشروع د. طه: محاربة التقليد، والسخرية من أهله. ولا أشك أن د. طه قد جعل من د. العروي رمزا لظاهرة التقليد في الفكر العربي الحديث!

خاتمة :

والفرق بين الباحثيْن هو :

- أن أحدهما يريد أن يطوي صفحة الماضي والآخر يريد أن يفتحها وينشرها.
- وكل منهما يُريد أن يؤصل المفاهيم، ويُخرج الفكر من طور إلى طور.
- وكل منها يرمي صاحبه بالتقليد من منطلق تصوره للتقليد!
- وكل منهما يعتبر نفسه مجتهدا ومجددا!
- د. عبد الله العروي يؤمن بالتاريخ والتاريخانية، ويربط الحداثة بالقطيعة ود. طه عبد الرحمن يؤمن بفاعلية الوحي حين يُصبح عملا، وحركة حياة.
- مشروع المفاهيم عند د. العروي توقف، وقال عنه صاحبه أنه كان صيحة في واد، أما مشروع د.طه فله أصداء تتردد في كثير من الوديان.

على كل حال، كان كل واحد منهما هاجساً فكريا للآخر! كان كل واحد منها مقلقاً للآخر! ولم يخلُ الصدام من آثار نفسية عميقة عند كل منهما! كانت المنطلقات والاجتهادات والطموحات متباينة!

وعلى كل حال،ما ينفع الناس يمكث في الأرض.

[ملاحظة: كلمة كتبتها إثر قراءتي للكتابين، منذ نحو أربع سنوات، وبقيت مطمورة بين أوراقي، وبفضل هذا الموقع تعرف طريقها إلى النشر].

This file was downloaded from QuranicThought.com